خاتمة

بعد أن استعرضنا في هذا البحث الحركة الفكرية والأدبية لمدينة الاسكندرية على مدى قرون من الزمان هو القرن السادس الهجرى يجدر بنا أن نقف في النهاية لنسجل أهم ما توصلنا اليه من نتائج .

ولعل اول ما ابرزه هذا البحث ، هو ذلك الموقف السياسى المتميز لمدينة الاسكندرية خلال هذه الحقبة ، حيث كانت مركزا قويا من مراكز أهل السنة ، وقلعة من قلاع المقاومة ضد حكم الائمة الفاطميين ، وهذا الموقف السياسى لم يكن منفصلا عن الحركة الفكرية والادبية بالثغر .

أما من حيث الحركة الفكرية فقد اتسمت بالطابع الدينى ، وازدهرت العلوم المتصلة بالدين كالقراءات والحديث ، وسرى في المدينة تيار قوى من الزهد .

وأما من حيث الحركة الادبية ، ولنبدأ بالشعر فقد رأينا كيف ان شعراء الاسكندرية لم يكونوا على وعى عميق بالتشيع ومصطلحاته الباطنية ، وانما كانوا يتناقلون فى مدائحهم بعض العبارات المتناثرة من افواه الدعاه ، بل إن كثيرا من شعراء الثغر ضحوا بدفع حياته ثمنا لموقف شجاع كابن عباد ، ومنهم من اكتفى بالتندر والسخرية بطريقة أو بأخرى كابن مكنسة وابن قلاقس .

على أن هذا العداء للتشيع لم يمنع الاسكندرية من ان تقف بكل قواها وراء الفاطميين فى جهادهم ضد الصليبيين ، وبرزت اصداء ذلك الجهاد فى الشعر السكندرى الذى وقف وراء المجاهدين ، يثبت العزائم ، ويحث على مواصلة الجهاد ويمنى بالنصر .

واذا كان هذا الخيط من شعر الجهاد قد انقطع بعد ظافر الحداد فربما كان ذلك لتراخى الدولة فى الشطر الفاطمى ، وتناحر ورثائها الذى بلغ الى حد الاستعانة بالصليبيين أنفسهم ، أما فى الشطر الايوبى فربما لانه لم يظهر شاعر كبير مثل ظافر تحتضنه العاصمة ، ويعبر عن انتصارات الدولة .

وايا ما كان الامر فقد لمسنا فى الشعر السكندرى قوة النبض ، واحساسا بصدق العاطفة كلما تناول امرا من أمور الجهاد ، ولا غرابة فى ذلك من شعراء مدينة كانت فى هذه الحقبة حصنا من حصون الدين ، ودرعا قويا لعقيدة السلف .

ومن الملاحظات التى سجلها هذا البحث كثرة حديث بعض الشعراء عن الامن الذى تمتعت به البلاد فى الشطر الفاطمى ، والعدالة التى أظلتها ، وربما كان ذلك

ولم يكن ذلك كل ما ابرزه الشعر السكندرى من شخصية الاسكندرية ، فقد صور آثارها ، ومعالمها ، ومنشآتها ، وأبرز بعض جوانب الحياة فيها ، بل اننا رأينا من شعر شعراء الاسكندرية ما يمثل غرضا شعريا تنفرد به الاسكندرية أو تكاد وهو شعر الاسفار والغربة والرحلات ، وذلك كان صدى لطبيعة الاسكندرية من حيث هى مركز من مراكز التجارة والعلم .

وقد نظم شعراء الاسكندرية فى اغراض الشعر المختلفة من مدح وغزل وزهد ورثاء وفخر ، ولكنا لم نكد نجد غرضا شعريا الا وكان لبيئة الاسكندرية فيه اصداؤها ، ففى الزهد ترددت اقوال زهاد المدينة وعبادها ، وفى الفخر كان العلم محور تفاخر الشعراء .

على ان ذلك لا ينفى ان هناك من الاغراض الشعرية ما لم تر فيه طابعا سكندريا مميزا كشعر الغزل مثلا ، فهو لا يتميز فى قليل او كثير عن الغزل المصرى بصفة عامة ، ولكن علينا أن نذكر أن الاسكندرية مدينة مصرية قبل كل شىء ، وعلى أية حال فقد تأرجح شعراء الاسكندرية فى غزلهم بين الحسية والروحية ، وان كانوا أكثر ميلا الى جانب الروح ، وثمة ظاهرة فى غزلهم هى تلك اللقطات السريعة التى قد تركز على جزء بعينه من اجزاء الجسد ، وتتسم فى بعض الاحيان بروح المرح والفكاهة .

ومن الملاحظات التى سجلها هذا البحث قلة شعر الرثاء وهو قلة الجيد منه ، فلم نظفر بقصيدة فى رثاء احد القواد او المحاربين ، رغم ان العصر كان عصر صراع وربما كان ذلك نتيجة احتراف الشعراء للتكسب ، وسعيهم وراء المال بمدائحهم اذ ليس هناك من يثيب على الرثاء .

ومما لاحظناه كذلك ان الشعر السكندرى اقتحم على النثر بعض ميادينه ، فعبر عن اشياء من قبيل الحاجات اليومية ، وقام بعض الشعر بمهمة بطاقات الدعوة والشكر ، ومهما كان الحكم على ذلك من الناحية الفنية ، فهو اقتراب من الشعراء بشعرهم من حياة الناس ، وخروج به الى آفاق الحياة العريضة .

اما من حيث السمات الفنية لشعر هذه الحقبة فقد لاحظنا ان الشعراء سارو ا بين نمطين من انماط التعبير ، نمط يصطنع الجزالة والفخامة ، ونمط يميل الى السهولة والرقة ، ورأينا أن النمط الثانى كان هو النمط الغالب ، ورأينا ايضا ان اللهجة العامية بدأت تؤثر فى عبارات الشعر والفاظه ، فترددت بعض التراكيب العامية ، وبخاصة فى شعر التهكم والدعابة .

واذا كان البديع طابع هذه الحقبة ، فلا غرابة ان يأخذ منه شعراء الاسكندرية

بالالفاظ والحروف كابن قلاقس ، ومنهم من أخذ منه باطراف اليد كظافر الحداد ،

كذلك رأينا ميل شعراء الاسكندرية الى استخدام مصطلحات العلـــوم ، ورأينا شغفهم بالتضمين والاقتباس ، ولاحظنا كثرة تلميحاتهم واشاراتهم الـــى القصص القرآني ، والى ايام العرب ووقائعهم .

ومن حيث الصور والاخيلة لاحظنا أن شعراء الاسكندرية وفقوا الى بعـــض الصور المبتكرة ، كما أنهم أعادوا صياغة كثير من الصور القديمة ، وأوجدوا بيـــن اجزائها علاقات جديدة بحيث بدت في ثوب مغاير ، كذلك رأينا ما لبيئة الاسكندرية من أثر في خيالهم ، فاستمدوا مادة كثير من الصور من البحر وسفنه ومن الـــدر والصدف .

ومن حيث الاوزان والقوافي لم يخرج شعراء الاسكندرية عن نظام القصيـــدة العربية ، فالتزموا بالوزن الواحد ، والقافية الواحدة ، الا انهم مالوا الى الاوزان القصيرة في كثير من قصائدهم .

وشارك شعراء الاسكندرية في نظم الموشحات ، وقد عرفت بنا نماذج مـــن موشحاتهم ، وليس فيها ما يميزها عن سائر ما عرف من هذا الفن .

وفي نهاية الحديث عن الشعر ينبغي أن نشير الى ما ألقاه هذا البحـــث من اضواء على حياة أعلام الشعر السكندري كظافر الحداد وابن قلاقس ، وأميـــة ابن ابي الصلت .

.....

أما النثر فان ما وصلنا منه قدر ضئيل ، ولم يكد يخرج عن الاغراض النثريـــة المعروفة كالرسائل الرسمية والرسائل الاخوانية ، والمقامات .

وكما برزت وجوه الاسكندرية من خلال الشعر برزت ايضا من خلال الكتابات النثرية ، فالرسائل الرسمية التي وردت الى الشعراء برزت مكانته من حيث هو دار رباط ، وهو مركـــز من مراكز العلم ، ومرفأ هام من مرافئ التجارة ، كما أبرزت عناية الدولة به وبأهلـــه وتجارة وعلمائه وعباده .

وصورت الرسائل الاخوانية بعض جوانب البيئة السكندرية كمتنزهاتها المطيرة ، وبردها القارس ، كما تحدثت ايضا عن الاسفار والغربة والحنين .

وكانت مقامة ظافر الحداد هي المقامة السكندرية الوحيدة التي وصلتنا من هذا الفن ، ولم تعنا على الخروج بتصور عام ، الا اننا لاحظنا فيها اختفاء عنصر الكديـــة ، وهدم الاسراف في التلاعب باللفظ

الالوان البديعية المختلفة .

وقد وجدنا بعض المصنفات السلفية والادبية لعلماء الاسكندرية وأدبائهـــا ، ولعل ابرزها كتابا معجم السفر للسلفي ، وسراج الملوك للطرطوشي .

وقد تناول هذا البحث بالتحليل والعرض والمقارنة هذين المصنفين لما لهمـا من أهمية خاصة ، فمعجم السفر وثيقة سكندرية هامة ، لا غنى لباحث في هذه الحقبـة عنها ، وسراج الملوك يمثل جانبا من جوانب الفكر السكندري ، ويعكس - فضـلا عن ذلك - طابع الزهد بالمدينة .

أما بقية المصنفات فقد اكتفينا بنبذة سريعة عن كل منها ، لان بعضها فقـد ، وبعضها لم يصلنا منه غير جزء ضئيل ، وبعضها يخرج بنا تفصيل الحديث فيه عـن نطاق ما رسم لهذا البحث .

.....

ولعلنا لا حظنا بعد ذلك ان القرن السادس الهجري يمثل حقبة مزدهرة فـي تاريخ الفكر والادب بالاسكندرية ، الا انه يجدر بالملاحظة ان الشطر الغالب مـن هذا القرن كان يمثل الازدهار الحقيقي ، وأخذ هذا الازدهار يقبل في الشطـر الاخير ، وتنطفئ مشاعلة واحدة اثر اخرى ، كلما رحل عن الدنيا احد العلمـاء ، او انطفأت جذوة الحياة في صدر أديب ، وربما كان ذلك راجعا الى تكرر الاوبئة بين كل اقتصاد الدولة للجهاد ، وربما كان للغلاء الطاحن الذي حل بمصر في أخريـات هذا القرن ، أو ربما كان ذلك نتيجة انتقال من عهد كانت له نظمه وقيمه ومفاهيمـه ومعاييره ، الى عهد آخر مغاير ، وفي مثل هذه الفترات تنحسر حركة الفكر والادب ويبدأ تيارها بعض الوقت حتى يستوعب ما جاء به النظام الجديد من قيم ومفاهيم .

وبعد فلا ادعي اني وفيت هذه الحقبة حقها من الدراسة ، ان هي الا خطوة على الطريق تمهد لمن يأتي بعد ...

والله الموفق الى سواء السبيل .